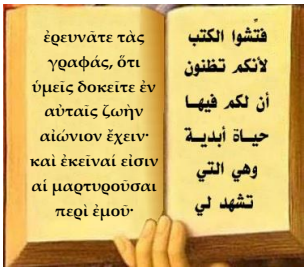

يسوع المسيح لم يكن نعم ولا

✠✚✠

✚ «لأَنَّ ابْنَ اللهِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ ...لَمْ يَكُنْ نَعَمْ وَلَا، بَلْ قَدْ كَانَ فِيهِ نَعَمْ. لأَن مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللهِ فَهُوَ فِيهِ "النَّعَمْ" وَفِيهِ "الآمِينُ"» (٢كو ١: ١٩-٢٠)

نَعَمْ ولَا ... كيف يجتمع الضدَّان حيال موقفٍ بعينه، مع أن آخذَ القرار واحدٌ؟ وما العَجَبُ في ذلك إن كان الواعِدُ هو إنسان؟ قد تُبْحِرُ به السفينةُ صَوبَ مأْربِهِ فيصلُ في أمان، أو تماطِلُهُ إشاراتُ الإبحارِ فيُرتَهَنُ انتظارَ البيان، أو قد تُعاكِسُهُ الريحُ بعد الإقلاعِ، فتغدو وعودُه طيَّ النسيان.

زارَ بولس مدينة كورنثوس للمرة الأولى أثناء رحلته التبشيرية الثانية، ودامت زيارته هذه ثمانية عشر شهرًا (أع ١٨: ١١)، خلالها كَلَّلت السماءُ مسعَاه بثمارٍ مبروكةٍ. وفي رحلتِهِ التبشيرية الثالثة، عاد فزار أفسس التي كان قد زارها قبلًا ومكثَ فيها وقتًا طويلًا. وخلال زيارته، وصلته أخبارٌ مؤسِفةٌ بشأنِ مؤمني كورنثوس، فأدلى من هناك (من أفسس) برسالتِه الأولى لكورنثوس وأرسلها مع تيطس إليهم. وكانت رسالةً شديدةَ اللهجة، تحمل توبيخًا سَافرًا بل واقتراحًا وترتيبًا عاقلًا، لكل ما شابَهُ التشويشُ والخللُ بينهم. بعد ذلك صارَ بولس يترقَّبُ بقلقٍ ردَّ فعلِ الكورنثيين لرسالته، وامتلأ قلبُه شوقًا أن يرجِعَ تيطس إليه حاملًا عنهم أخبارًا سارة لقَبولِهم التوبيخَ، كذا الترتيب. أقصِدُ حُسنَ تَفَاعُلِهم مع الرسالة. ولقد قرَّرَ بولس، أنه إن عاد تيطس إليه بمثلِ هذه الأخبار، سيقصد زيارتهم ثانيةً للتشجيع ومنهم سَيُشَيِّع إلى مكدونية شمالًا، ثم يعود جنوبًا إلى كورنثوس ومنهم سيُشَيِّعُ إلى اليهودية (٢كو ١: ١٥-١٦). ولكن هذه الخريطة لم تتم على هذا المِنْوال، لا لأن بولُس تراجَعَ عن وعودِهِ (حتّى وإنْ تراجع فالظروف والأحوال قد تُغيِّر ترتيب خِطَّة مساره)، بل لأنَّ تيطس تأخَّرَ فلم يأتِ إليه في تروَاس، فانصَرَف بولس إلى مكدونية

(٢كو ٢: ١٢-١٣)[١].

حاوَل المُعلّمون الكذبة في كورنثوس تشويه صورة بولس، مُتَّهمين إياه بالخفةِ وعدمِ الاتِّزان فقد وَعَدَهُم بأنَّه سيأتي إليهم ولم يَفِ بوعده فهو يَعِد ويخلف في وقتٍ واحد. ومُراد أعدائِه بهذا أنّه لم يبقَ سبيلًا إلى الثقة بكلامه وأنَّ ذلك يستلزم أنَّ تبشيره لا يمكن الثقة به أيضًا. ولكن في رسالتِهِ الثانية إلى كورنثوس، نراه يُعلّل تأخُّرَهُ، ويُدْلي بأسبابِ تَغَيُّرِ الخريطة.

ولكن الأجملَ مِن كُلِّ ذلك أنه حَوَّل عيونَ مؤمني كورِنثوس مِن النظرِ له إلى النظر لابن الله، الذي فيه ومِن خلالِه، تمَّت كلُّ مواعيدِ الله لنا. فالله وَعَدَ قبل الزمان؛ فلقد اختارنا قبل الأزمنة الأزلية (أف ١: ٤)، وسبق فعيَّننا للتبني (أف ١: ٥) لنكون مشابهين صورةَ ابنه (رو ٨: ٢٩) ووعدَنا بالحياة الأبدية وهو المُنَزَّه عن الكَذب (تي ١: ٢). **فطالما وَعدَنا في الأزل لن يُغيِّر مواعيده**: «**لأَنْ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللهِ فَهُوَ فِيهِ "النَّعَمْ" وَفِيهِ "الآمِينُ"، لِمَجْدِ اللهِ الآب**» (٢كو ١: ٢٠). ورغم عدم استحقاق الإنسان، وإخفاقِهِ عَبْرَ الأزمان، أُرسِلَ ابنُ اللهِ في ملء الزمان، فلم يكن فيه «نَعَمٌ وَلاَ»، فلم يكن للتَرَدُّدِ أو للتَّغيُّرِ فيه مكان، بل قد كان فيه «النَّعَمْ والآمِينُ» لمجد الله ولخيرِ الإنسان. فالرسول يوضِّح المُباينة بين مشروعاته الخاصة القابلة للتغيير، وكرازته بالإنجيل التي لا تقبل المساومة، فيقول: «لأَنَّ ابْنَ اللهِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، الَّذِي كُرِزَ بِهِ بَيْنَكُمْ بِوَاسِطَتِنَا... لَمْ يَكُنْ نَعَمْ وَلاَ، بَلْ قَدْ كَانَ فِيهِ نَعَمْ» (٢كو ١: ١٩).

فالذي وَعَد مُلزَم ومُتَكفِّل بما وَعَد، والشخص الموعود له، له الحق بأن يتوقَّع ويُطالب بالتنفيذ. فكل وَعْدٍ وَعَدَ به الله في الكتاب فِيهِ «النَّعَمْ» وَفِيهِ «الآمِينُ» و«مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا» (رو ٤: ٢١). والضمان هو أنَّ الله «لَيْسَ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟» (عد ٢٣: ١٩). فالتعهُّد مُوَقَّع بدم المسيح وهو مُلزِم لله الآب، تُلزِمه به طبيعته الأمينة ومحبته وصلاحه. لقد جاء مخلصنا إلى الأرض ليُتمِّمَ فيها العمل اللازم لتحقيق المواعيد الإلهية. وكانت خطيئة الإنسان عائقًا كُليًّا لتنفيذ المواعيد، وقد أزال الرب يسوع بموته على الصليب هذا العائق لكي تتحقق هذه المواعيد أيضًا بواسطته وتكون لها نتائج أبدية. فشكرًا لله على مواعيده العظمى والثمينة التي نلناها.

---

(١) رجع تيطس إلى بولس ولكن متأخرًا ولكن رجوعه كان سبب تعزية لبولس، ليس بمجيئه فقط ولكن بسبب أنّ رسالته الأولى لكورنثوس شديدة اللهجة أثمرت فيهم (٢كو ٧: ٦-١٢).